جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم الحضارة

محاضرات مقياس:

النظم الإسلامية

موجهة لطلبة السنة ثانية حضارة

أستاذ المقياس:

الدكتور الجباري عثماني

رابعا- الحجابة:

1- معنى الحجابة:

وهي من الجذر حجب، والحجب: كل شيء منع شيئا من شيء فقد حجبه حجبا. والحجابة: ولاية الحاجب. وجمع حاجب: حجبة. وحجاب الجوف: جلدة تحجب بين الفؤاد وسائر البطن. وحجبت الشيء أحجبه حجبا إذا سترته. والحجاب: الستر. وكذلك فسر في التنزيل: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أي ساترا . وكل شيء حَجَبك فقد سترك. واحتجبت الشمس في السّحاب إذا استترت فيه.

ونعني بالحجابة كوظيفة؛ هي حجب الخليفة عن الرعيّة؛ وُضعت لحماية الخليفة من القتل، استحدثها في الدولة الاسلامية الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ بعد فشل الخوارج في محاولة اغتياله، ونجاحهم في اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ؛ فكانت مهمتها حراسة باب الخليفة.

2- نشأة خطة الحجابة وتطورها:

يراد بالحاجب في دول الإسلام ما يراد بالتشريفاتي في هذه الأيام، وهو الذي يتولى الإذن للنّاس في الدخول على الملك أو السلطان أو الأمير، ولا بد منه في الدولة، حفظًا لهيبة الملك، وكلما أعرقت الدولة في المدنية واستغرقت في الترف تكاثف الحجاب بين ملكها ورعاياه، فكان الخلفاء الراشدون يفتحون أبواب مجالسهم لأي من كان، ويخاطبون الفقير والغني والصعلوك والقوي بلا حجاب ولا كلفة، يقول ابن خلدون: "وأما مدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظوراً بالشريعة فلم يفعلوه".

فلما تحولت الخلافة إلى الملك، كان في جملة ما أدخلوه على الدولة التدقيق في الحجاب، وترتيب الناس في الدخول على الخلفاء بحسب طبقاتهم وأنسابهم، وأول من انتبه لذلك معاوية بن أبي سفيان - كما أسلفنا - فكانوا يفضلون في الدخول أهل البيوتات، أي أهل النسب، فإذا تساوت الأنساب فضلوا أهل السن، فإذا تساوت فضلوا أهل الأدب والعلم، لكنهم كانوا يبيحون الدخول لأربعة في أي وقت شاءوا وهم: المؤذن، وطارق اللّيل، ورسول الثغر، وصاحب الطعام، ومن هذا القبيل قول زياد بن أبيه لحاجبه: "ولّيتك حجابتي وعزلتك عن أربع: المنادي إلى الصلاة والفلاح، لا تفرجنّه

عنّي فلا سلطان لك عليه، وطارق اللّيل لا تحجبه فشرٌّ ما جاء به، ولو كان خيراً ما جاء به تلك الساعة، ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعةً فسد عمل سنة فأدخله عليّ وإن كنت في لِحافي، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد". وقد جاء أن عبد الملك بن مروان لما ولى حاجبه قال له: "قد ولّيتك حجابة بابي إلا عن ثلاثة: المؤذن للصلاة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فأمر ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد".

ولما جاءت دولة بني العباس وصارت إلى ما هو معروف من العز والترف، زادوا في منع النّاس عن ملاقاة الخليفة إلا في الأمور الهامة، وصار بين الناس والخليفة داران: دار الخاصة ودار العامة، يقابل كل فئة في مكان على ما يراه الحجاب. وقد علت مرتبة الحاجب في أيامهم؛ فأصبح يستشار في كثير من أمور الدولة، ومن أبرز الحجاب في العصر العباسي الأول؛ "الفضل بن الربيع" الذي أوقع بالبرامكة في عهد هارون الرشيد، كما لعب دورا هاما في إحداث الخلاف بين الأخوين الأمين والمأمون. وأما في الدولة الأموية بالأندلس، فقد كانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء، وأعلى قدرا من الوزير، بمثابة رئيس الوزراء في زماننا، فكانت في دولتهم رفيعة غاية في الشرف على حد تعبير صاحب المقدمة.

3- شروط الحاجب وصفاته:

ذكروا لصاحب هذه المرتبة شروطا ضرورية وكمالية:

أحدها المعرفة بأوقات محجوبه وانبساطه ومنازل النّاس منه. الثاني صحة الرأي؛ ليضع الأمور مواضعها ويعتذر إلى من منعه بما يقضيه ولا ينقص من جانب محجوبه. الثالث الرأفة؛ لتحجزه عن ابتذال الأحرار وامتهانهم بطول انتظار الإذن. الرابع النزاهة؛ لتمنعه من فساد ترتيب القاصدين وتقديم أدانيهم لما يتعجله منهم. وورد عن الخليفة عبد الملك بن مروان قال لأخيه عبد العزيز بن مروان، حين ولاه مصر: إن النّاس قد أكثروا عليك، ولعلك لا تحفظ، فاحفظ عنّي ثلاثا، قال : انظر من تجعل حاجبك، ولا تجعله إلا عاقلا فهما مفهما، صدوقا لا يورد عليك كذبا، يحسن الأداء إليك والأداء عنك، ومره ألا يقف ببابك أحد من الأحرار إلا أخبرك، حتى تكون أنت الآذن له أو المانع؛ فإنه إن لم يفعل كان هو الأمير وأنت الحاجب. وأضاف آخر في شروط الحاجب : إن الحاجب أحد

وجهي الملك، يعتبر عليه برأفته، ويلحقه ما كان في غلظته وفظاظته، فاتخذ حاجبك سهل الطبيعة، معروفا بالرأفة، مألوفا منه البر والرحمة، وليكن جميل الهيئة حسن البسطة.

النظم الإدارية

أولا- الولاة وإدارة الولايات:

بعد أن تجاوزت الدعوة الإسلامية حدود الجزيرة العربية، ظهرت الحاجة الماسة إلى الاستعانة بالولاة لحكم البلاد المفتوحة، التي قسمت إلى مجموعة من الولايات أو الإمارات، صار يعيّن عليها الخليفة ولاة أو عمال يستمدون سلطانهم منه ويتبعونه، يطلق على الواحد منهم اسم الأمير بمعنى قائد الجيش، أو عامل الخليفة، أو العامل فقط، كان يتم اختيارهم من الصحابة سواد من قواد الجيش الفاتحين أو من أماثل القوم وأفضلهم جريا على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في اختيار الأصلح للولاية، إذ يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان كثير التروي عند اختيار ولاته، وأنه كان يختارهم من أماثل الناس وكفاءاتهم، ويتخير أن يكونوا من الصحابة في الغالب، وذلك بعد أخذ الشروط اللازمة عليهم: "أن لا يركب الواحد منهم برذونا، ولا يأكل نقيا[1]، ولا يلبس رقيقا، ولا يتخذ بابا دون حاجة الناس". وذلك مع حرصه على أن يبقى للوالي هيبة توقره في السلوك ومهابة يلجم بها العامة والخاصة.

كذلك كان الحال بالنسبة للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي لم يتردد في عزل من يشتكيه أهل عمله، ومع ذلك فقد أخذ عليه تولية أقربائه وأهل بيته في السنين الست الأخيرة من خلافته، الذين أساءوا السيرة وتجاوزا الحدود. ورغم حرص بني على اختيار ولاتهم من بين العرب إلا أنهم ساروا على سياسة عثمان من حيث إسناد الولايات في الغالب إلى آل بيتهم وأنصار دولتهم تعلقا منهم بالسلطان والحفاظ عليه. ولم يخرج العباسيون عن سياسة الأمويين في اختيار الولاة، وإن كانوا قد أكثروا الاستعانة بغير العرب، ربما بسبب دخول هؤلاء في جسم الدعوة العباسية من جهة، ووصولهم إلى مراكز القوة في المجتمع الإسلامي من جهة أخرى. كما شهد هذا العصر ظاهرة أخرى

1- النّقي: غني لباب الدقيق، ويسمى الحُوّارى: الدقيق الأبيض.

نجم عنها أسوأ النتائج، فقد عمد بعض الولاة إلى إرسال رجال لإدارة الولايات نيابة عنهم في حين بقوا هم حاضرة الخلافة حرصا منهم على مصالحهم ومكانتهم لدى الخليفة. هذا بالإضافة إلى استبداد بعض الولاة بأمور ولاياتهم، بعد أن دبّ الضعف في جسد الخليفة، ونجاح بعضهم في الاستقلال بأعمالهم عن تبعية الخلافة وتكوين أسرات حاكمة، كما فعل ابن الأغلب في إفريقيا، وابن الطاهر في خراسان، وابن طولون في مصر. لذلك وضع الفقهاء نظما لحكم أقاليم الخلافة، وجعلوا الإمارة نوعين:

1- **الإمارة العامة**:

يدخل فيها المال والقضاء، وتنقسم بدورها إلى ضربين: **إمارة استكفاء**؛ وهي تنعقد عن اختيار ورضاء من الخليفة لشخص الوالي، الذي يفوض إليه إمارة بلد أو إقليم أو ولاية على جميع أهله، ويجعله عامل النظر في كل أموره، لا يراجعه إلا في الأمور الهامة جدا. ويشتمل نظره على عدة أمور وهي:

- تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم.
- النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.
- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما.
- حماية الدين والدفاع عن الحريم.
- إقامة حدود الشرع، وجهاد العدو وقسمة الغنائم في حالة متاخمة الإقليم للعدو.
- الإمامة في الصلوات وتسيير الحجيج.

ويعرف صاحب هذه الولاية بالأمير **المستكفي** ويشبه وزير التنفيذ؛ لأنه يدين بالطاعة المطلقة للخليفة، الذي يكاد يضع له بعض الضوابط ليحد من سلطانه وليحول دون استبداده، منها السماح له بتعيين وزير التنفيذ دون وزير التفويض. والحق أن إمارة الاستكفاء كانت في الواقع من جملة الأسباب التي أفضت إلى تشعب الخلافة العباسية إلى مجموعة من الدول المستقلة؛ لأن الوالي كان يقيم في ولايته كأنه ملك مستقل إلا فيما يتعلق بإرسال فضلات الخراج إلى الخليفة، والخطبة له وضرب النقود باسمه.

وأما فيما يتعلق بالضرب الثاني من هذه الإمارة، فهي: **إمارة استيلاء**؛ وهي كما يفهم من معنى الكلمة، تنعقد عن اضطرار نتيجة لاستيلاء الأمير أو الوالي على الولاية بالقوة، فيضطر الخليفة إلى منحه تقليدا صوريا للحفاظ على هيبة الخلافة، واستدعاء لطاعة الأمير، وحرصا على اجتماع الكلمة على الألفة والتناصر ووحدة الدولة. ويطلق على صاحبها اسم الأمير المستولى، وتكون إمارته شاملة لكل البلاد التي استولى عليها؛ لذا شبهه البعض بوزير التفويض؛ لأنه كان يقوم أيضا بسك اسمه على العملة والطراز، ويدعى له على المنابر بعد الخليفة مباشرة. ولأمير الاستيلاء أن يعين الوزراء، ويحق له بصورة خاصة أن يستوزر وزير تفويض ولا يحق لأمير الاستكفاء.

ومن أشهر هذه الولايات في العصر العباسي؛ الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، والبويهية في فارس وكرمان، والغزنوية في الأفغان والهند، والإخشيدية في مصر والشام. وكلها كانت إمارات مستقلة تدعو للخليفة على المنابر وتضرب السكة باسمه، وترسل إليه مالا معينا في السنة يتم الاتفاق عليه، وهو الذي يثبت أمراؤها ويكون الحكم متسلسلا في أعقابهم.

2- الإمارة الخاصة:

وهي كما يقول الماوردي: يقتصر الوالي فيها على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة أي المجتمع موضع السلطان والذبّ عن الحريم. وليس له أن يتعرض فيها للقضاء والأحكام وكذا جباية الخراج والصدقات بل وإمامة الصلاة، فربما كان القاضي أحق بها منه. ومن الواضح أنه كان للخراج شأن كبير بالنسبة للوالي في ولايته، بدليل أن عمرو بن العاص رضي الله عنه رفض عرض الخليفة عثمان بن عفان سنة 25هـ بأن يكون على مصر، أي واليا خاصا عليها، وذلك بعد نجاحه في إعادة طرد الروم منها، على حين يضل عبد الله بن أبي السرح على خراجها قائلا له: "أنا إذا كماسك البقرة بقرنيها، وآخر يحلبها"، وآثر العودة إلى المدينة.

ثانيا- الدواوين في الدولة الإسلامية:

1- معنى الديوان[1]:

1- **الدِّيوانُ** : الدَّفتَرُ يكتب فيه أَسماء الجيش وأَهل العطاء. وهو: مكان الكَتَبة وموظفي الدولة **ديوان** الموظفين.

اختلفت المصادر في الاشتقاق اللغوي لكلمة ديوان، فهناك من يقول أنها عربية من دوّن الشيء أي أثبته، والأصل الذي يُرجع إليه. وهناك من يرى أنها فارسية معربة، لها صلة بكلمة "دبير" أي "الكاتب"، ومعناها سجل أو دفتر. وأطلقت مجازا على المكان التي تحفظ فيه السجلات الرسمية. وقد عرّف الماوردي الديوان: "على أنه موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال".

2- ظروف نشأة الدواوين في الدولة الإسلامية :

نشأت الدواوين في الدولة الإسلامية في العصر الراشدي زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وأما قبله فلم يكن للدولة الإسلامية شيئاً من هذه الدواوين. وقد اختلفت المصادر في شأن تاريخ تدوين الدواوين، إذ يذكر الطبري أن الخليفة عمر دوّن الدواوين في العام 15هـ، على حين يؤكد البلاذري أن ذلك تم في المحرم من عام 20هـ. وذكر المؤرخون رأيين في سبب وضع عمر الديوان وهما:

- اتساع رقعة الدولة وكثرة مداخيلها المالية وذلك نتيجة الفتوحات الإسلامية، الأمر الذي دفع عمر بن الخطاب أن ينشئ ديوان العطاء والخراج. ويُذكر أن الصحابي الجليل أبا هريرة عامله على البحرين قدم ومعه مال كثير فلقي عمر، فسأله عن قيمته، فأخبره 500 ألف درهم؛ فاستكثره؛ فصعد عمر المنبر وخطب في الناس قائلا: "أيها الناس، قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلناه لكم كيلا وان شئتم عددناه عدا"، فقام إليه رجل فقال: "يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم، فدون ديوانا لنا"، استحسن رأيه؛ وقال: "دونوا الدواوين". وفي رواية أخرى، قال له الوليد بن هشام بن المغيرة وقيل خالد بن الوليد: "قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا وجندوا الجند، فدون ديوانا وجند جنودا"، فأخذ عمر بقوله.

- والبعض يرى أن سبب وضع عمر للدواوين، يرجع إلى أنه بعث بعثا، وكان عنده الهرمزان وهو أحد زعماء الفرس الذين أسلموا؛ فقال لعمر: "هذا البعث قد أعطيت أهله الأموال؛ فان تخلف منهم رجل وأخل بمكانه، فمن أين يعلم قائدك به، فاثبت لهم ديوانا"، وفسره له وشرحه، فأمر عمر بإنشاء ديوان الجند.

3- تعريب الدواوين:

مع بداية الدولة الإسلامية كانت الدواوين تكتب بغير العربية، إلا في الأقاليم العربية فقط، إذ ترك الخلفاء الراشدون وأوائل الأمويين لسكان المناطق المفتوحة الاستمرار في كتابة الدواوين بلغاتهم المحلية؛ لعدم خبرتهم بأمور الإدارة. فكانت دواوين العراق وخراسان تستعمل الفهلوية (الفارسية)، وكانت دواوين الشام تستعمل اليونانية (الرومية)، وكانت دواوين مصر تستعمل اليونانية والقبطية. ولكن بعدما انتقل القوم من غضاضة البداوة، إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأمية إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة وحذاق في الكتاب والحسبان؛ بدأ التفكير جديا في تعريب الدواوين وأسلمتها.

أ- موظفي الدواوين قبل التعريب: جرى العرف أن يتولى شئون هذه الدواوين أهالي البلاد المفتوحة؛ فكان عمال ديوان العراق من موالي فارس، وعمال ديوان الشام من الروم وعمال ديوان مصر من الروم والقبط، وذلك لإدارة دفة الأمصار، والإدارة المالية بالتحديد، فلم يكن باستطاعة المسلمين أن يغيروا الأوضاع القائمة بين عشية وضحاها، ولأن خلق جهاز إداري جديد يحتاج إلى وقت طويل، إذ لم يكن باستطاعة الدولة العربية الجديدة أن تقوم به فور نجاح الفتح. ولم تكن قلة خبرة العرب هي الأساس في الموضوع، إذ احتاج العرب أناسًا قادرين على مخاطبة الأهالي بلغتهم فكان لا بد من استخدام من يحسن ذلك.

ب- **تعريب عبد الملك للدواوين:**

اتجهت الدولة في خلافة عبد الملك بن مروان ومن بعده من الخلفاء إلى تعريب الدواوين، انسجاما مع سياستها العامة في بلوغ الوحدة العربية والإسلامية. وقد رصد عبد الملك أموالاً جزيلة وجوائز عظيمة لمن قاموا بترجمة هذه الدواوين، ونقل مصطلحاتهم إلى العربية في إطار صبغ الدولة بالصبغة العربية الإسلامية الخالصة. وتنفيذا لأوامر عبد الملك، نشطت حركة تعريب الدواوين في الأقاليم الإسلامية؛ بحيث تم تعريب ديوان العراق في عام 78هـ، وقد كلف الحجاج بن يوسف الثقفي كاتبه صالح بن عبد الرحمن مولى بني سعد بذلك؛ الذي يجيد اللغة الفارسية والعربية. وفي

الشام نقل الدواوين من الرومية إلى العربية الكاتب سليمان بن سعد[1] عام 81هـ، وأكمله لسنة من يوم ابتدائه[2]. وفي مصر تم تعريب الديوان في سنة 87هـ، أثناء ولاية عبد الله بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك. وفي خلافة هشام بن عبد الملك، قام الكاتب إسحق بن طليق بنقل ديوان خراسان من الفارسية إلى العربية في سنة 124هـ، أثناء ولاية نصر بن سيار عليها. ودون ونظم حسان بن النعمان الدواوين في بلاد أفريقية عام 83ه.

ت- **نتائج التعريب:**

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية: أصبحت اللغة العربية هي لغة الكتابة الرسمية للدواوين؛ مما ساعد على تقلُّص نفوذ غير العرب من جهة، هذا فضلا عن تمكين الخليفة وولاته من الاطلاع على هذه الدواوين، والإشراف عليها، وكشف ما فيها من زيف أو تحريف، إضافةً إلى الحفاظ على أسرار الدولة ومقدراتها من جهة ثانية. وأما من الناحية الأدبية فقد أصبحت اللغة العربية لغة التدوين؛ فنُقل إليها كثير من الاصطلاحات الفارسية والرومية واليونانية والقبطية، وقد مهد ذلك إلى ظهور طبقة من الكُتَّاب، كان لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة وترمز إليهم، وكان عبد الحميد الكاتب يقول: "لله درّ صالح ما أعظم منته على الكُتاب". كما ساعدت حركة التعريب هذه على انتشار الخط العربي واللغة العربية التي صارت لسانا حضاريا في جميع أمصار الإسلام. كما ساهمت حركة تعريب الدواوين - وهي أول عملية ترجمة منظمة - في ظهور حركة الترجمة، من اللغات الأجنبية إلى العربية، إذ ترجمت بعض كتب الكيمياء والطب من اليونانية إلى العربية.

وكان المسجد الجامع في العاصمة مقرا للدواوين في أول الأمر، بالإضافة إلى كونه مركزا للعبادة، ومقرا لبيت المال والقضاء، ومكانا للتدريس وحفظ القرآن، ثم نقلت بعد ذلك إلى مكان خاص بها، وتذكر المصادر أن الدواوين كانت تعمل بلا انقطاع عدا يوم الجمعة، فلما كانت خلافة

1- هو أول من نقل الدواوين من الرومية على العربية، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها في العصر الأموية، توفي حوالي سنة 105ه.

2- اختلف في وقت نقله فقيل: نقل في خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك.

المهدي العباسي(158-169هـ) أمر أن يُجعل يوم الخميس للكتاب يستريحون فيه، وينظرون في أمورهم ويوم الجمعة للصلاة والعبادة.

4- أنواع الدواوين في دار الخلافة:

أ- **ديوان الجند:**

ويعرف أيضا بديوان الجيش أو العساكر أو العطاء، وهو أول ديوان في الإسلام، أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن تم للمسلمين النصر في القادسية، إذ أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من كتاب قريش، أن يكتبوا أسماء الجند من العرب والموالي، وأوصافهم وأنسابهم وقبائلهم وترتيبهم ورواتبهم؛ على أساس القربة من الرسول عليه الصلاة والسلام، والسابقة في الإسلام، وحسن الأثر في الدين خلافا لخطة أبي بكر في التسوية بين الناس في العطاء. وكان الانتظام في ديوان الجند يعني بالضرورة التفرغ التام لها حتى لا ينشغل الجنود بأعمال أخرى كالزراعة؛ مما يستدعي استقرارهم وارتباطهم بالأرض وإهمال أمر الجهاد.

وقد استمر العمل بديوان الجند زمن بني العباس، حيث أصبح يضم مجلسان: الأول يعرف بمجلس التقرير؛ ويختص بترتيب استحقاقات الجند وتقدير أرزاقهم، والثاني يعرف بمجلس المقابلة؛ ويقتصر عمله على السجلات وتصفح الأسماء وما إلى ذلك. ووجد ديوان الجند أيضا لدى خلفاء الدولة الفاطمية، حيث شهد تطورا كبيرا، إذ صار يتألف من ثلاثة دواوين يكمل بعضها البعض، الأول عُرف باسم ديوان الجند؛ وكان عمله مقتصرا على التعرف على أحوال الجند وأخبارهم وأعدادهم. والثاني باسم ديوان الرواتب؛ وكان مختصا بتسجيل عطاء الجند بل وجميع موظفي الخلافة. والثالث فكان يعرف بديوان الإقطاع؛ وكان عمله قاصرا على ما هو مقطع للأجناد.

ب- **ديوان الخراج:**

الخراج والخرج؛ هو اسم لما يُخرج، والخراج الأتاوة تأخذ من أموال الناس، أو هو الشيء الذي يُخرجه الناس من مالهم في السنة بقدر معلوم. والخراج كما يذكر الماوردي: "هو ما وُضع على

رقاب الأرض[1] من حقوق تؤدى عنها، أي هو جزية الأرض أو الضريبة التي فرضها المسلمون عليها بعد الفتح". ويطلق عليه ديوان الاستيفاء أو الجبايات أو جباية الأموال. عُرف في الإسلام منذ أيام الفاروق عمر، ويعتبر من أهم الدواوين بحيث يتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في مشكلاته وهو عماد المالية، ويتولى تسجيل ما يرد وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، يقال لكتابة الخراج: قلم التصريف. ونظرا لحساسيته نظم تنظيما دقيقا، حيث أعدت فيه إيصالات الاستلام والصرف، التي كانت تحتفظ بسجلات خاصة بها.

وقد بقي بعد الإسلام على ما هو عليه في كل من الشام والعراق ومصر إلى زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، الذي أمر بنقله إلى العربية – كما أسلفنا – بعد أن صارت الخلافة في مسيس الحاجة إليه؛ لإحصاء خراج البلد المفتوحة، وما ترتب على ذلك من زيادة الموارد ووجوه الإنفاق، الأمر الذي استلزم وجود فرع له في كل ولاية، مهمته تجميع الأموال بها؛ للإنفاق منها على شؤون الولاية، وإرسال الفائض إلى ديوان الخراج المركزي في عاصمة الخلافة، حيث تتم هناك محاسبة دواوين الولايات التابعة له.

وقد أخذت الأموال تتدفق عليه في أواخر أيام بني أمية؛ بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية. واستمر العمل بهذا الديوان في أيام العباسيين، حيث قام الخليفة أبو جعفر المنصور بنقله من دمشق إلى بغداد، وصار له الإشراف على دواوين الخراج المحلية في جميع الولايات والأمصار التابعة للخلافة العباسية. وقد حرصت الخلافة من وقت لآخر على تحديد تاريخ مناسب لجباية الخراج السنوي، ينفق عادة من تاريخ نضج المحاصيل وجمعها تخفيفا على الزراع.

ت- ديوان الخاتم:

استحدث ديوان الخاتم في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، ويعود سبب إنشاء هذا الديوان أن معاوية أمر لعمرو بن الزبير 100 ألف درهم يأخذها من عامله على الكوفة زياد ابن أبيه، ففتح عمرو الكتاب وصيّر المائة مائتين، ولم تكن الرسائل حتى ذلك الوقت تختم؛ فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية، وطلبها من عمرو بن الزبير، وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير

1- الفرق بين الجزية والخراج: الجزية في الأصل ضريبة يدفعها العبد لسيده، والخراج ضريبة يدفعها الزراع لمالك الأرض.

إلى خزينة الدولة؛ فعندها اتخذ معاوية ديوان الخاتم، وجعل عليه عبيد بن أوس النسائي[1]، وأمر بختم الكتب وحزمها، وكانت لا تحزم من قبل؛ حتى لا يعلم أحد بما تحتويه من أسرار، ولا تتعرض أيضا للتزوير والتعديل.

وكان الحزم يتم عن طريق لصق رأس الصحيفة على ما ينطوي عليه الكتاب، وقد يجعل مكان اللصق علامة؛ يؤمن بها عدم فتحه. وقد جرت العادة بأن يختم مكان اللصق بخاتم منقوش باسم الخليفة أو بنقش خاص به، وذلك بعد غمسه في مداد أو مُذاب من طين أحمر، كان يُجلب خصيصا في العهد العباسي من سيراف[2]. وظل ديوان الخاتم يُعد من أهم الدواوين منذ أيام معاوية حتى أواسط العصر العباسي الأول، إذ يشير الطبري أن الربيع حاجب الخليفة المهدي العباسي تولاه في سنة 167هـ. وقد حل محله "ديوان التوقيع"، تولى رئاسته جعفر البرمكي في عهد الرشيد.

ث- ديوان الرسائل:

على الرغم من أن التراسل يعود أصلا إلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلى أيام الخلفاء الراشدين ومن بعده، الذين كانوا يتبادلون الرسائل مع الملوك والحكام وغيرهم من عمال الولايات والأقاليم، إلا أننا لا نجد وجودا لهذا الديوان قبل عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وقد احتل هذا الديوان أيضا مكانا مرموقا بين الدواوين العباسية، وإن غلب عليه ديوان الإنشاء؛ لأن لفظة الإنشاء من الألفاظ المستعملة في ديوان الرسائل، لتعني النسخة التي يعدها الكاتب لتعرض على متولي هذا الديوان، فيزيد فيها أو ينقص أو يقرها على حالها ويأمر بتحريرها.

وكان متولي هذا الديوان يقوم عادة بالإشراف على الرسائل الواردة من الولايات الإسلامية، والمرسلة من الخليفة إلى عماله، لذا كان يختاره من أهل نسبه، ومن عظماء قبيلته. ثم أصبح العمل في هذا الديوان معقدا بعد أن تعددت اختصاصاته في العصر العباسي، وكثر عدد من يعملون فيه، فوجد كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء، وآخرون مساعدون يقومون بالتلخيص والتبييض. كما أصبح لهذا الديوان منذ وقت مبكر محفوظات خاصة يوضع فيها كل ما يصدر عنه من

1- **النسائي**: نسبة إلى مدينة **نسا** الأثرية القديمة تقع في جمهورية تركمانستان، وكانت قديماً تتبع إقليم خراسان التاريخي.

2- **مدينة سيراف**: الاسم الأقدم صيراف، مدينة أثرية قديمة، تقع في محافظة بوشهر في جنوب إيران.

مكاتبات، عُهد بالإشراف عليها إلى ما يسمى بالخازن. وكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في أضابير[1] خاصة، يوضع خارج كل منها بطاقة تشير إلى محتوياتها؛ ليسهل استخراجها عند الحاجة والرجوع إليها.

ولصبغ كل ما يصدر عن هذا الديوان بالصبغة الشرعية، كان يجب أن يحمل توقيع أو خاتم الخليفة، جريا على سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد عُرف التوقيع في العصر العباسي باسم **العلامة؛** التي صارت لا تعني التوقيع بخاتم الخليفة، وإنما أيضا عبارة دينية أو نعتا يقوم مقام التوقيع، فكانت العلامة عند الخليفة أبي جعفر المنصور "ثقتي آمنت به". وعرف ديوان الرسائل في مصر في عهد الخلافة الفاطمية، حيث غلب عليه اسم ديوان الإنشاء، وكان يتولى شؤون هذا الديوان كاتب يقال له صاحب ديوان الإنشاء، ويطلق عليه أيضا صاحب الدسْت[2] الشريف؛ لكتابته على الدسْت، وقد كان الخليفة يستشيره في أمور كثيرة، ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه.

ج- **ديوان البريد**:

ج-1- **البريد لغة واصطلاحا**:

البريد لغة: جاء من الفعل أبرد، فإذا قلنا أبرد البريد القصد منه أرسله، ولو قلنا صاحب البريد قد أبرد إلى الأمير فهو مبرد. وقد أطلق على الرسول الذي يحمل بريدا بالبريد، وجمعها برد. ويقول الأزهري: قيل لدابة البريد "بريد"؛ لسيره في البريد. وسميت المسافة التي يقطعها صاحب البريد أو عماله بريدا، والمسافة معلومة قدرها اثني عشر ميلا(حوالي 20 كلم). أما في الاصطلاح فهو: أن يجعل خيل مُضمّرات[3] في عدة أماكن ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه، ركب غيره فرسا مستريحا، وكذلك يفعل في المكان الآخر، والآخر حتى يصل بسرعة.

1- **أضابير:** جمع مفرده إضبارة، والإِضبارَة : الحُزْمة من الصّحف ، ضُمَّ بعضها إلى بعض

2- **الدسْت**: لفظ فارسي معرب، وتعني هنا كمية من الورق.

3- **مضمّرات:** من فعل ضَمَّر، وضمَّر الفرس للسِّباق: أضمره؛ ربطه وعلفه وسقاه مدّة، ثم أركضه في الميدان حتى يخفّ وزنُه.

والبريد من النظم القديمة التي وجدت عند كل من الرومان والفرس، لهذا اعتقد البعض أن اللفظة ذات أصل فارسي من "بريده دم"، أي مقصوص الذنب؛ لأنه كان من عادة الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا في البريد قصوا ذنبه، ليكون ذلك علامة على أنه صار من بغال البريد. على حين اعتقد البعض الآخر أنها عربية مشتقة من بردت الحديد، إذا أرسلت ما يخرج منه، وقيل من أبردته أي أرسلته. وقد ذكر بعضهم أن البريد عُرف عند عرب الجاهلية وفي صدر الإسلام. وقد أجمعت المصادر على أن معاوية بن أبي سفيان أول من استحدث نظام البريد في الإسلام؛ لضمان سرعة وصول الأخبار إليه وجعله تابعا لنظام التراسل، وأن عبد الملك بن مروان أحكمه وأدخل عليه العديد من التحسينات وجعله ركنا هاما في إدارة شؤون الدولة، وأمر حاجبه أن لا يمنع عامل البريد من الدخول عليه ليلا ونهارا ؛ لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة.

وفي العصر العباسي زادت العناية بالبريد؛ فأنشأوا له ديوانا خاصا، وقد عدّه أبو جعفر المنصور من أركان الملك وهي: القضاء والشرطة والخراج والبريد. وتذكر المصادر التاريخية أن الخليفة هارون الرشيد أحاط مملكته بشبكة دقيقة من خطوط البريد؛ كي يتوخى السرعة في تلقي الأخبار وإصدار الأوامر، حتى صارت كل الطرق تؤدي إلى بغداد مثلما كانت كل الطرق تؤدي من قبل إلى روما؛ بسبب عناية الخلافة العباسية بالطرق وتعبيدها، وإقامة المنازل في مراحلها المختلفة لراحة ناقلي البريد وتغيير دوابهم. وتؤكد المصادر أن نظام البريد في الدولة الإسلامية، لم يكن بريدا عاما لخدمة الأفراد، وإنما خاصا بأعمال الخلافة ومهامها. ومع ذلك فقد كان يقوم أحيانا بنقل رسائل الناس إلى ولاة الأمر أو غيرهم ولكن في أضيق الحدود؛ لأن مهمته كانت في المرتبة الأولى مراقبة عمال الخلافة، وإبلاغ العاصمة في أقرب وقت مستطاع بما يجري في الأقاليم من أحداث سياسية واقتصادية، بالإضافة إلى بعض الأعمال الأخرى مثل حمل عمال الولايات إلى مقر أعمالهم، ونقل الجند وأمتعتهم، وغير ذلك من حفظ الطرق وصيانتها من المناسر والقطاع والأعداء والجواسيس؛ لذلك ليس بغريب أن شبّه البعض نظام البريد بنظام المخابرات في الوقت الحالي، وأطلق على رجاله اسم العيون وعلى رئيسهم "صاحب الخبر"؛ ولهذا فهو "ولاية جليلة وخطيرة، وإن أصحابه بمنزلة

العيون الباصرة، والآذان السامعة لولاة الأمر"، وعلى أصحابها أن يكونوا أمناء عقلاء نصحاء صدق؛ حتى لا يتطرق الكذب إلى أخبارهم.

ج-2- وسائل نقل البريد:

- **البريد البري**: كانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأطراف، وكانت مزودة بمنازل أو محطات للبريد، تتألف كل محطة في الغالب من خان ومسجد وسقاية، وفيها دواب البريد من بغال وخيل وإبل، ومن يتعهدها بالخدمة والعناية. كان قطار البريد يتألف من دابة فأكثر حتى تبلغ أربعين أو خمسين، وكانوا يُعلقون في أعناقها جلاجل أو سلاسل؛ إذا تحركت سمعت لها قرقعة، تعرف بقعقعة البريد. والذي ينقل البريد على الجمال يسمى النجاب. وفي بعض الأحوال كان يعتمد على السعاة لنقل بريدهم، وهم رجال خفاف تعودوا الجري والصبر على السير ثلاث مراحل في مرحلة، وأول من أنشأ السعاة في الدولة العباسية معز الدولة البويهي، ونبغ في أيامه فضل ومرعوش فاقا سائر السعاة، وعمّ السعاة في سائر الدولة الإسلامية.

- **البريد البحري**: وقد اقتصر على البلاد البحرية بصفة خاصة، وكان صاحبه يزود عادة بمراكب خفيفة وسريعة لاستغلالها في نقل البريد، وقد كان الاعتماد على هذا النوع ضعيفا، ولا يلجأ إليه إلا عند تعذر الطرق البرية.

- **البريد الجوي**: بواسطة الحمام الزاجل أو حمام الرسائل، الذي عرف بجناح المسلمين. ويرجح أن هذا النوع من البريد استعمل للمرة الأولى في عهد الخليفة العباسي المعتصم، ثم شاع استعماله في زمن السلطان نور الدين زنكي الذي استخدمه للأغراض العسكرية. وقد أفردت له الدولة الفاطمية في مصر ديوانا خاصا، ووضعت له الجرائد والدفاتر التي تضمنت أنساب الحمام المستخدم في هذا النوع من البريد، وميزوه أيضا بحلقات من الذهب كانت توضع في أرجله، وبألواح خفيفة كانت تعلق في أعناقه. وأقيمت الأبراج في الطرق، وينقل حمام كل برج تلك الرسالة المقتضبة المؤدية للمطلوب، وكانت الرسالة تشدّ تحت جناح الطائر أو في ذيله، وتكتب منها صورتان ترسلان مع طائرين يطلقان في أوقات متباعدة قليلا؛ خشية أن يعرض لأحد الطائرين حال يمنعه من الوصول إلى هدفه. وقد جرت العادة ألا يطلق الحمام في الجو الممطر، ولا قبل تغذيته

الغذاء الكافي. ويبدو أن هذا النوع من البريد كان قاصرا على فترات الحروب فقط، حيث كانت الرسائل تكتب على بطاقات من ورق خفيف، بخط دقيق للغاية، عرف باسم الغبار؛ لأنه مثل الغبار، بلغة أشبه بالشفرة.

- **المخابرة بالدخان**: أنشأ العرب أبراجا عالية في بعض البلدان كما فعل الحجاج، والمأمون، فينشر الدخان نهارا من أحد الأبراج وتوقد النار فيه ليلا؛ فيراه موظفو البرج الذي يليهم، وهكذا دواليك، وكانت هناك اصطلاحات بينهم تشبه ملاحي السفن البحرية، عندما يتخابرون بالمرايا والأنوار والأعلام.

وقصارى القول، يتبين مما سبق بأن البريد كان واسطة العلاقة بين الولاة والخليفة، ينقل أوامر الخلفاء إلى ولاتهم وأخبار الولاة إلى خلفائهم، إلا أن عمل صاحب البريد لم يقتصر على مراقبة توزيع المكاتبات الرسمية فحسب؛ بل كان يتعداها إلى موافاة الخليفة بكافة الأخبار والحوادث التي يمده بها أعوانه المنتشرون في أنحاء الأقاليم، أي أنه كان رقيبا ومفتشا وعينا للخليفة، يرفع التقارير عن أحوال الجند والمال وأحكام القضاء وأسعار الحاجيات من قمح وحبوب ومأكولات وغيرها، كما كان من جملة أعماله أيضا حفظ الطرق وصيانتها من العذار والأعداء.

الحسبة

استهلال:

إن نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الشريعة الإسلامية، يعد وظيفة أساسية للرسول ﷺ ولجميع أفراد أمته من بعده، ذلك لما له من أهمية قصوى في الحفاظ على الكيان الاجتماعي للمسلمين، فهو الوسيلة الأولى لتحقيق خلافة الإنسان على الأرض وإصلاحها للبشرية جمعاء؛ لذا فقد وضع له الإسلام أسسا تضمن فعاليته في المجتمع. ولكي تتحدَّد مسؤولية الدولة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد وُضع له نظاما محددا وولاية خاصة هي ولاية الحسبة، يقوم عليها أشخاص يختارون لها اختيارا دقيقا وفق شروط واضحة، حتى يتم الإشراف عليهم من قبل الدولة.

أولا- تعريف الحسبة:

1- الحسبة لغة:

اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد، وحسب الشيء يحسبه حسبانا؛ أي عدّه. والحِسْبَةُ: مصدر احْتِسابك الْأجر على الله عزّ وجلّ، تَقول: فعلتُه حِسْبَةً، واحْتَسَب فِيهِ احْتِساباً. ويقول ابن سيده: والاحتساب: طلب الأجر، والاسم الحِسبة، واحتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله، وإنه لحسن الحِسبة في الأمر: أي حسن التدبير والنظر، والاحتساب: طلب الأجر، والاسم: الحسبة.

2- الحِسبة اصطلاحا:

الحِسبة: نظام استحدثه المسلمون، يسمى القائم به المحتسب، يعتبر وسطاً بين أحكام القضاء وأحكام الأمن الاجتماعي والاقتصادي للأمة، ومعناه الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه بين النّاس، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله داخل المجتمع، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن منكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران، 104]. فأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات فينقسم ثلاثة أقسام: أحدها؛ ما يتعلق بحقوق الله تعالى. والثاني؛ ما يتعلق بحقوق الآدميين. والثالث؛ ما يكون مشتركا بينهما. ويذهب ابن خلدون، بأنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين،

يُعيّن لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل النّاس على المصالح العامة في المدينة.

ثالثا- أركان الحسبة:

ذكر الإمام الغزالي أنّها أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب. ولكلّ ركن من هذه الأركان حدود وأحكام وشروط تخصّه.

- الرّكن الأوّل: المُحتسِب، وهو من نصّبه الإمام أو نائبه للنّظر في أحوال الرّعيّة والكشف عن أمورهم ومصالحهم، وتصفّح أحوال السّوق في معاملاتهم، واعتبار موازينهم وغشّهم، ومراعاة ما يسري عليه أمورهم، واستتابة المخالفين، وتحذيرهم بالعقوبة، وتعزيرهم على حسب ما يليق من التّعزير على قدر الجناية.

- الرّكن الثّاني المُحتَسب فيه: تجري الحسبة في كلّ معروف إذا ظهر تركه، وفي كلّ منكر إذا ظهر فعله، ويجمعها لفظ (الخير) في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ فالخير يشمل كلّ شيء يرغب فيه من الأفعال الحسنة وكلّ ما فيه صلاح دينيّ ودنيويّ وهو جنس يندرج تحته نوعان: أحدهما: التّرغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف. والثّاني: التّرغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النّهي عن المنكر.

- الرّكن الثّالث: المُحْتَسب عليه: المُحْتَسب عليه هو المأمور بالمعروف والمنهيّ عن المنكر، وشرطه أن يكون ملابسا لمفسدة واجبة الدّفع، أو تاركا لمصلحة واجبة الحصول.

- الرّكن الرّابع: الاحتساب: القيام بالحسبة - وهو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر - من أعظم الواجبات وأهمّ المحتسبات، ذكره الله في كتابه مرّات كثيرة وامتدحه فيه بأساليب عديدة، وكان حظّه مع ذلك من السّنّة أوفر وذكره فيها أكثر، وذلك لعظم ما يترتّب عليه من مصالح، وما يدرأ به من مفاسد، وذلك أساس كلّ ما أمر به الدّين، وحكمة كلّ ما نهى عنه.

وإجمالا: فالحسبة تستلزم وجود من يقوم بها وهو: المحتسِب، ومن تجري عليه الحِسبة وهو: المُحتَسَب عليه، وعملٌ أو ترك تجري فيه الحِسبة وهذا هو: المحتسَب فيه، وما يقوم به المُحتسِب وهذا هو: الاحتِساب.

رابعا- شروط المحتسب:

فمن شروط من يتولى خطة الحسبة، أن يكون حرا عدلا، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدّين، وعلم بالمنكرات الظاهرة. ولما كانت الحسبة أمرا بمعروف، ونهيا عن منكر، وإصلاحا بين الناس، وجب أن يكون المحتسب فقيها، عارفا بأحكام الشريعة، ليعلم ما يأمر به، وينهى عنه. ومن الشروط اللوازم للمحتسب أن يكون عفيفا عن أموال النّاس، متورعا عن قبول الهدية من المتعيشين، وأرباب الصناعات. ويلزم المحتسب غلمانه، وأعوانه بما التزمه من هذه الشروط.

وليكن من شيمته الرفق، ولين القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الأخلاق عند أمره للنّاس ونهيه، فإن ذلك أبلغ في استمالة القلوب، وحصول المقصود. وليكن متأنيا، غير مبادر إلى العقوبة، ولا يؤاخذ أحدا بأول ذنب يصدر منه، ولا يعاقب بأول زلة تبدو؛ لأن العصمة في الخلق مفقودة، وإذا عثر بمن نقص المكيال، أو بخس الميزان، أو غشّ بضاعة أو صناعة؛ استتابه عن معصيته، ووعظه، وخوّفه، وأنذره العقوبة، والتعزير؛ فإن عاد إلى فعله عزّره على حسب ما يليق به، من التعزير بقدر الجناية.

خامسا- اختصاصات المحتسب:

يحدد ابن تيمية صلاحيات المحتسب فيقول: وأما المحتسب، فله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاصات الولاة والقضاء وأهل الديوان ونحوهم.

ومن دائرة اختصاصه؛ المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل. والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة. والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين. ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه. وليس له إمضاء الحكم في الدعاوي مطلقا، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها في المكاييل والموازين.

ويضيف ابن تيمية موضحا ما يندرج ويقع تحت اختصاصات المحتسب يذكر : فعلى متولي الحسبة أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصلّ بالضرب والحبس، وأما

القتل فإلى غيره. ويتعاهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرّط منهم فيما يجب عليه من حقوق الأمة وخرج عن المشروع ألزمه به، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والقاضي. ويأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة، وأداء الأمانة والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال، وينهى عن الخيانة وتطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات، ويتفقد أحوال المكاييل والموازين، وأحوال الصُنّاع الذين يصنعون الأطعمة والملابس والآلات، فيمنعهم من صناعة المُحرّم، على الإطلاق كآلات الملاهي، وثياب الحرير للرجال، ويمنع من اتخاذ أنواع المُسكرات، ويمنع صاحب كل صناعة من الغش في صناعته، ويمنع من إفساد نقود النّاس وتغييرها.

ومعظم ولايته (المحتسب) وقاعدتها الإنكار على هؤلاء الزغلية وأرباب الغش في المطاعم والمشارب والملابس وغيرها، فإن هؤلاء يفسدون مصالح الأمة، والضرر بهم عام لا يمكن الاحتراز منه، فعليه ألا يهمل أمرهم، وأن ينكل بهم وأمثالهم، ولا يرفع عنهم عقوبته.

سادسا- عزل المحتسب:

أجمل الماورديّ أسباب العزل من الولاية في عدّة أمور: أحدها الخيانة، والثّاني أن يكون سببه العجز والقصور. والثّالث والرّابع أن يكون السّبب اختلال العمل من عسف وجور، أو ضعف وقلّة هيبة. والخامس أن يكون سببه وجود من هو أكفأ منه. وذكر صاحب معالم القربة أنّه إذا بلغ المحتسب أمر وتركه أثِم، وإن تكرّر شكوى ذلك منه ولم يأخذ له بحقّه سقطت ولايته شرعا، أو خرج عن أهليّة الحسبة وسقطت مروءته وعدالته، ولا يبقى محتسبا شرعا، وإن عجز عن ذلك يرفعه إلى وليّ الأمر وهو الإمام أو نائبه، والذي يجب على السّلطان إدرار رزقه الذي يكفيه وتعجيله، وبسط يده، وترك معارضته، وردّ الشّفاعة عنده من الخاصّة والعامّة.